المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي:

اللغة من القدرة إلى التواصل

• د. ديدوح عمر بن عبد القادر

مقدمة :

اتجه

تشومسكي منذ سنة 1957 إلى العناية بمكوّنات الجملة، و من ثم أعيد الاعتبار للجانب النحوي في أي دراسة لسانية ، وانتهى بهذا التوجه إلى اعتبار الجملة هي قطب الرّحى للدرس اللساني ،وفقا للمعايير التي يفترضها منهجه الجديد فقد استدرك على اللغويين قصور اهتمامهم على البنية وسجل الثغرات الملحوظة نتيجة هذا الإفراط المبالغ فيه فكان توجهه الجديد المنطلق من الجملة .

ألقى هذا التوجه اللساني الجديد ظلاله على الدرس اللساني في جامعات العالم ، ليتجلى صدى ذلك في عناية اللسانيّين ببناء الجملة واقترن هذا الاهتمام بالنّزوع إلى الإفادة من الأجهزة الإلكترونية في البحث اللّغوي لتحقيق مزيد من الدقّة والموضوعية، فكان الاشتقاق النحوي المبني على التوليد والتحويل ، ثم ليطفو على شاشة البحث اللساني، النحو التحويلي التوليدي **Generative Transformational Grammar** والفكرة الأساسية في النحو التوليدي أن الوصف الدقيق للغة من اللّغات إنّما يعني تحديد الإمكانيات التعبيرية كاملة في هذه اللّغة، الّتي ينتقي منها مستخدم اللّغة إيجابًا أو سلباً. فالنّظرية التوليدية التحويلية تهدف في المقام الأوّل إلى التعرّف على القواعد الكلية الكامنة في العقل الإنساني، المؤثرة في تكوين الجملة في اللغات الطبيعية، مؤسّسا بذلك ما يعرف بالنحو الكلّي.

في سياق هذا المنعرج الحاسم نشأ النحو التحويلي التوليدي ساعيا إلى إبراز
اختلافات كامنة في علاقة الوحدات الصرفية داخل الجملة ومدى جدوى ذلك في برامج الترجمة الآلية ومدى القصور في ذلك.

وتهدف هذه الورقة إلى محاولة الكشف عن أبرز ما انتهت إليه جهود العالم اللساني الأمريكي تشومسكي ، في سياق نظرية البرنامج الأدنوي التي اعتبرها عصارة جهده العتيد في النظرية التوليدية التحويلية .

التعريف بالبرنامج:

إنّ ما نسمّيه اليوم البرنامج الأدنى «**Le Programme Minimaliste**»[1] هو محاولة الكشف عن عدّة مسائل لغوية، ويتمثّل الهدف من هذا البرنامج في تبيان أن القطائع

* جامعة تلمسان، الجمهورية الجزائرية

مع هندسة مثلى للّغة هي كطرائق اصطناعية تطبّق بشكل منظّم تكنولوجيات تخفي نقصًا حقيقيًا في الفهم، وإضافة إلى ذلك فهو برنامج يفهم منه بيان أو مقاربة تكون أشدّ صرامة أو أكثر تشدّدا منه، ويمكن أن تفرز اختباريا نتائج مماثلة لنتائج البرنامج الأدنى أو أفضل منها، ودون أن تكون ثمّة حاجة إلى العودة إليها (أي إلى نتائج البرنامج الأدنى)(2).

إنّ كتاب (الأفكار والمثاليات) (**Ideas and Ideals**)، الّذي يتضمّن هذا البرنامج يمكّن القارئ النبيه من فهم واضح للفكر الّذي يؤسّسه قسم مهم من البحث المعاصر المهتم باللّغة وبمبادئها القارّة وبتنوّع أشكالها الممكنة، وبالطريقة التي تكتسب بها اللّغة وتستعمل وبالمكانة التي تحتلّها في العالم الطبيعي.

مكوّنات البرنامج:

يتكوّن البرنامج الأدنى من عنصرين أساسيين هما: الاقتصاد3 (**Economy**) الذي يعتبر المكوّن الرّئيسي لهذا البرنامج ويكون ضمن ثلاثة فروع: الجانب الفونولوجي،و الجانب التداولي،و الجانب التركيبي.

أمّا العنصر الثاني وهو وحدات أو عناصر التصغير (**Elements of minimalism**)4 ؛ ويقصد به أنّ هذا البرنامج يجب أن يشتمل على معجم5 (**Lexicon**) ويرتكز على دعامتين: مادّية ووظيفية6 (**Substantive and Functionall**)، ونظام حاسوبي يعرف بـ(**Chl**) أي النظام الحاسوبي للّغة البشرية 7(**The Computational System for Human Language**)

تتجلى واحدة من أهم التظاهرات اللاّفتة للنّظر في النشاط الثقافي عند تشومسكي في تكراره ومراجعته لاختراعاته وإبداعاته، بالرغم من أن جوهر أفكاره المتضمنة للمعاني الفلسفية منها والنفسية قد بقي بشكل واسع ثابتا طوال نصف قرن، إذ إنّ التجهيز الفني لهذه الأفكار قد عرف بعض التغيرات.

إن آخر تظاهرة لهذه الثورة اللغوية عرفت باسم (الأدنوية) أي البرنامج الأدنوي وربما يعتبر هذا البرنامج أكثر جديّة في الفترات النظامية والمرتفعة في تفكير تشومسكي أو عندما يعبّر عنها هو في قوله: «أظنّ أنّها أكثر الأشياء التي فكّرت فيها من حيث الأهمية والدقّة».

لقد استمدّ تشومسكي هذا الحكم المخالف من (القساوة الثورية) **Relentlessly Revolutionary**)8)، أي التطور الفني عند بيكاسو (**Picasso**) حيث أثار إعجاب ودهشة الجماهير وعدم إدراكهم للمقاييس المتساوية والمتماثلة التي استعملها.

لقد كان الرسم التكعيبي يعتبر هجوماً سواء عند الّذين أعجبوا برسومات الفترة الزرقاء والوردية أو الّذين انبهروا بالرحلات الخيالية إلى السريالية والتحام المنحوتات التي جاءت بها المدرسة التكعيبية التي كانت محيّرة ومدهشة للغاية، حتى للّذين لم يعجبوا بهذا الفن كانوا على يقين أن (سيّدات أفينيو) (**Les demoiselles d'Avignon**)(9)، قد غيّروا الفنّ إلى الأبد.

وأمّا الّذين واكبوا أعمالهم خلال فترة الحرب فقد أعجبوا بشدّة رعب لوحة (**Guermica**)(10).

لو كان أمام تشومسكي بعض الوقت لغيّر من الطريقة التي كان قد طوّرها، إذ كان يخلط كثيرا ويحوّل ويبعد في بعض المرات، ويؤثّر ويلهم البعض، وعلى أيّ حال فقد وجدت الحركة من أجل تعميق الفهم حتى لو كانت تعدّ تضحية جليّة للمتبصرات أو التصوّرات السابقة.

تشمل النظرية الموحدة المعروفة بنظرية الربط العاملي مفهومين أساسين هما البنية السطحية والبنية العميقة (تمييز بين مستويي التمثيل) وسميت قديما بسبب الغموض اللاتقني للعمق والسطحية، ولكن في البرنامج الأدنوي الّذي يعتبر محاولة الانطلاق من الاحتكاك بهذين المستويين وذلك بعد أربعين سنة بحثا ثابتا.إن الدور الأساسي الذي لعبته الحكومة (**Government**) تقريبا منذ **20**سنة قد اختفى، وإن التمييز بين البنية السطحية والعميقة ليس فقط قد ألغي ولكن كلا مستويي التمثيل قد انتهى وكذا نظرية الجملة السطحية قد ألغيت.

يوجد الآن مستويان فقط للتمثيل في النحو: الشكل الصوتي(الذي) 12(**pf**) والشكل التأويلي13 (**lf**). وإثراء للبرنامج الأدنوي فإن العبارة ذات صبغة دلالية، وبما أنها ليست لحد الآن نظرية عن القدرة اللغوية، بل هي تعبر أكثر عن الشروط التي يجب أن تتوفر في هذه النظرية فلننظر إلى بنية النحو ثم إلى نوع خاص من الأمثلة ونرى ما نوع السؤال الذي حفز

تحليلها عقب السنوات.

إنه من مجال العلم أن نتبنى هاته المكونات النظرية التي لا يمكن الاستغناء عنها إما أن تعتبر ضرورية للفهم أو تعتبر تجريبية، وفي اللسانيات لابد على الصنف الأول أن يشمل المعجم، وإذا كان دور النحو هو ربط الصوت بالمعنى أي مستويا التحليل (pf/ lf) وإنه من المستحيل الاستغناء عن هذين المستويين الذين يكوّنان الواجهات بالنطق والاستيعاب(pf) من جهة وبنظام مفهومي 14(conceptual) أي مركزي من جهة أخرى.

هناك متطلب أخر هو(legibility) إي أن المستويين (/ pf lf) لابد أن يكونا من المكوّنات الحركية والمعرفية للعقل مثلا، والتأكد من استطاعة السامع تشفير الجمل التي يتعرض لها وإقحام محتواها في الذاكرة مدة طويلة، وكما يضعها تشومسكي :إذا كانت اللغة تستعمل للكل، فإن العبارات التي يولدها شخص واحد لابد أن تكون مناسبة لأنظمة أخرى، وتدخل إلى الفكر والحركة.
بالإضافة إلى هذا لابد أن توجد بعض البنيات الداخلية للنحو مثل: نوعا التمثيل (pf/ lf) بحيث ينبغي أن يكونا مرتبطين بشكل لائق ويكتمل هذا بوضع اشتقاق مشترك يصل إلى مرحلة تسمى 15 (spell out) (الكتابة) التي تسجل النقطة التي ينطلق منها الموضوع التركيبي إلى التفسير الصوتي من جهة والتفسير التأويلي من جهة أخرى.

إن الاقتراح لهذا يتمثل في أن عمليات الحركة التي تجري بعد الكتابة تبقى خفية لإظهار التقابل المشار إليه سابقا بين الحركة الخارجية والحركة الداخلية للجمل التي هي على شكل أسئلة 16 (w.h.questions)، فإن بنية النحو هي كما في المثال الآتي:

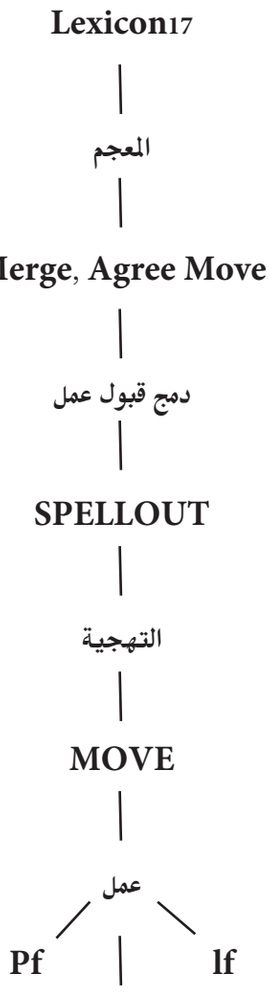

الشكل الصوتي– الشكل التأويلي

ظهرت عدة قضايا تجريبية لهذا النظام، فمثلا نقطة (Spell out) أقيم عليها احتجاج بأنها ليست مستوى تمثيل بحيث لا يوجد تعميمات لسانية تذكر في هذا المجال وأكثر عموما تترك مفتوحة، كم هو عدد الميكانيزمات الكلية والخاصة للقدرة اللغوية ومدى إمكانها تأدية وظيفة كل شروط القراءة.

أخذاً بالتعقيد الظاهر للتركيب في اللغة البشرية وأخذاً بتفسيرات تشومسكي التي صرح بها أن لدينا قدرة لغوية محددة وراثيا تختلف عن باقي المخلوقات، ويستطيع الواحد منا توقع خصائص القدرة اللغوية الغنية والكثيفة.

والمفاجأة أن نعلم بأن هدف البرنامج الأدنوي هو: ما هو تجريبي لا مفر منه يفرض بواسطة نمط خاص لأنظمة خارجية حيث إن كل القوى الخاصة بالسيرورات النحوية تحفز إما باعتبارات استيعابية أو مفهوميه 18(**perceptuel ou conceptuel**) مثلا: إن نظرية الربط الموصوفة هنا مقياساً للنحو تعتبر الآن نظاما تفسيريا خارجيا فقط ويعني هذا مجموعة من الشروط مفروضة خارج النحو، كذلك فإن سبب الوجود الكلى للحركة والذي يعتبر غير ضروري للفهم هو جواب لمتطلبات التواصل أي وضع معلومات قديمة قبل معلومات جديدة.
إن وجهة النظر هذه تفتح بابا لإعادة النظر في اللسانيات، متطلبة إعادة تحليل كل المكونات، وكالعادة، إنه من الضروري أن نبعد التصريحات المفهومة من التطبيق التقني لهذه التصريحات وذلك في نموذج رسمي.

وضمن المحتوى السابق يحبذ الاحتفاظ بكل ما هو مواز للمفاهيم بحيث يبرز بجلاء خلال هذه العملية وجه الاختلاف فيما إذا كانت اللغة حلاً ناجعاً لكل نوع من الشكوك، و الإبهام،و الغرابة، خاصة عندما يربط الصوت بالمعنى.

وخلاصة ينبغي لنا النظر مبدئيا في مفاهيم الاقتصاد ثم بعدها المرور عبر تتابع الأصناف والعمليات التي يتطلبها (التصغير).
و فيما يأتي نتفحص باختصار عملية دمج وتطبيق هذه العمليات تقنيا لنقيس إلى أي مدى يمكن للغة أن تكون كاملة.

ومن خلال هذا المبرر الأخير سنضفي اعتباراً جديداً لتطور اللغة كونها حلاً مرئي لشروط القراءة، إن تطورها في مدة زمنية قصيرة وغير منتظمة يعنى بأقل الصعوبات؛ بعبارة أخرى إذا كانت القدرة اللغوية تكتسي سهولة بيولوجية وفيزيائية كافية؛ هذا ينتج تقليصا متكافئا لكل خطوة قد تعرقل مراحل تطورها والقضاء على كل تعقيد في ظهورها.
أ- الاقتصاد:

يعد الاقتصاد المكون الرئيسي للبرنامج الأدنوي بحيث يكمن في جملة من المبادئ وقانون الجهد الأدنى الّذي تحتويه القدرة اللغوية، ويوجد عدة أنماط لمفهوم الاقتصاد يمكن من خلالها عملية التمييز، لندرس هذه الفروع الثلاثة:
- الجانب الفونولوجي.
- الجانب التداولي.
- الجانب التركيبي.

لنأخذ عملية المماثلة في المجال الفونولوجي أين يمكن لعناصر مختلفة أن تتوحد من حيث القيمة داخل مميزات معينة، مثلا في اللغة الإنجليزية /n/ في آخر كلمة19 «**ten**» تنطق مبدئيا [m] قبل /p/ أو/b/ كما في عبارة«**ten pears**» أو«**ten bears** «، هذه المماثلة هي ميكانيزم تلقائي، وإنه من باب التيسير أن تبقى أعضاء النطق في وضعية واحدة بدلا من تغيرها مرارا.

ثانيا الجانب التداولي وهو نوع من «الاقتصاد» الذي يفسر بواسطة بعض الروابط النحوية ومنها: 20 ,**more over** **any way**, **after all** والتي لا تضيف أدنى شيء لمحتوى الجمل الموجودة فبقدر ما تقدمه من شرح توضح مدى ترابطها من خلال البنية المنطقية المبررة أثناء التطور.
أما فيما يخص الجانب التركيبي فيوضح ببس

اطة بالاستناد بجمل تكون على شكل أسئلة كما هو في الأمثلة التالية:

(78) a I think John saw a buffalo 21
أظن أن جون قد رأى ثورا؟

b-What do you think John saw?b
ماذا تظن قد رأى جون؟
c-Who do you think saw a buffalo?
من تظن قد رأى جون؟
d-Who do you think saw what?22
من تظن قد رأى ماذا؟
في الجمل التي تكون على شكل أسئلة وتبدأ بكلمة (**who**,**that**) فإن هذه الكلمات تظهر في أول الجملة كما في المثال **c78** وهي تحتل رتبة خاصة، عندما نسأل عن مكونين كما هو الحال في مثال **d78**، فإنه يظهر عنصر واحد فقط في مقدمة الجملة **who** ويبقى الآخر في آخر الجملة كما هو الحال لـ **what**.

إن السؤال المطروح هو لماذا لا تستطيع كلمة **what** الانتقال إلى مقدمة الجملة لمثال **79**؟. لماذا جملة رقم **79** غير نحوية؟ إن الجواب المحتمل هو أن **79** تعتبر أقل اقتصادا من جملة **d78**، وذلك عندما تحتوي كلتا الجملتين نفس الكلمات.إن عبارة **who** (والتي هي بمعنى من) تعمل قريبة من مخصص **CP** أي تعمل أحسن مما تعمله **what** فهي تتناسب كلية مع النموذج الخاص بهذا النظام **CP** ، أين يمكن لعنصر واحد من الاثنتين التنقل أي حالة الحركة القصيرة تحدد العنصر الأقل مسافة و يسمح له بالتنقل. وبقدر ما كان المثال أكثر اختصارا بقدر ما كان معمما لكل أنواع الجمل مشيرا إلى أن مثل هذه المبادئ في الاقتصاد هي في الطريق الصحيح، ويمكن إبراز هذه الحالة من خلال مثال تغيير مكان الفعل المساعد في تركيب جمل الاستفهام الذي يشمل جواب نعم أو لا، مثلا في:

John might have come[23]
Might John have come?
Have john might come?

الواضح أن الفعل المساعد الأقرب من الفعل يمكنه التنقل وتغيير الوضعيات داخل الجملة، ومن جهة أخرى يجب التأكيد على إعطاء شروحا تحليلية في إطار كلمة (اقتصاد) وما قد تحمله من مشكلات تطرح تساؤلات تستلزم الوقوف عندها.

تدعيم آخر لأرضية البرنامج الأدنوي في مضمونه الاقتصادي يتجسد في فكرة أنه لا توجد رموز غامضة للغاية أي وحدة داخل جملة لها مبرر وجودها، في صيغة التفسير الكلي يستوجب إحضار كل العناصر المباحة بلباقة في شكليها المنطقي والصوتي وهذا يكون بمثابة إشارة لامتثال البرنامج الأدنوي بنتائجه المهمة والعديدة.

في أول الممر نحذر من مكونات في غير مواطنها كما في المثال الآتي:

I was in England last year. (The man)
John was here yesterday. (Walked)[24]

في هذا المجال لا دور للكلمات التي توجد بين قوسين طالما لا تؤثر في المفهوم العام لسياق الجملة وإذا كان كذلك فإنها تسبب متاهات لا تبرير لها من الناحية النحوية فهي مطلوبة أكثر في حالة التراكيب الصوتية، لما تثيره من تبليغ النطق ويحبذ الاستغناء عنها في مجال الشكل التأويلي.

إذا ما اعتمد هذا المبدأ داخل النظرية اللغوية فهو يوضح بصفة غير مباشرة المقاربة في التكافؤ من خلال الأمثلة الأتية:

There is a unicorn in the garden[25]
A unicorn is in the garden

وهذا ما لا تقبله اللغات الطبيعية حيث ترفض خصائص المتغيرات الحرة الموجودة بكثرة في اللغات الاصطناعية؛ في هذا المعنى نرتكز أساسا على الترتيب الحالي في إعطاء التفسير الكلي للكلمة.

ب- عناصر التصغير:

كما سبق ورأينا فإن كلمة التصغير تعني أن تشمل معجما ونظاما حاسوبيا يشار إليه بـ **CHL**[26] النظام الحاسوبي للغة البشرية، إذ إنّ المعجم يرتكز على قوائم معجمية ذات نوعين مادية ووظيفية حيث تتركب كل واحدة من مجموعة من الخصائص مثلا الفرق بين **strong**, **weak**.

[27]

أما مركبات الحاسوبية فإنها تحتوي على ثلاثة أجزاء: **merge agree and move** دمج وقبول وعمل.

- **Merge** «دمج»[28]: يكون عددا كبيرا من المكونات انطلاقا من قوائم معجمية فردية.

- **Agree** «قبول»: تكون علاقات بين القائمة المعجمية وخاصية أخرى في نفس المجال لتجاوز الاتفاق التقليدي مثلا **This girl sings , these girls sing**[29]، وكذلك في حالة تبيان الفرق بين **him**, **he**.

- **Move** «عمل»: وهي توافق بين **agree**, **merge** ويعرف جزء من الشجرة التي قد تكونت في **merge** وأعطت نسخة في جزء تمازج مع أجزاء أخرى لهذه الشجرة للحصول على عدد كبير جدا من المكونات.

يستخلص أن **merge** كونها عملية عميقة ومستحدثة بالمقارنة مع **agree move** فهي أكثر استعمالا في اللغات الاصطناعية والحسابات المنطقية التي ليس لها اتفاق أو حركية ولكن بفعل حقيقة تجريبية فاللغات الطبيعية تحتاج إلى العمليات الثنائية الأخرى **agree**, **move**، تبقى **merge** عملية ضرورية في بعض الأشكال في حين يمكن الاستغناء وبعفوية عن **agree**.

ويطرح تشومسكي تساؤلا: : هل هذه الأنماط الثلاثة تؤخذ بعين الاعتبار في تشكيل شروط اللغة؟

إذا أردنا الرجوع إلى كيفية وجود هذا البرنامج الأدنوي يجب علينا طرح ثلاثة أسئلة:

What get merged when ?[30]
What can agree with what ?
What can move where?

لكي نجيب عن هذه الأسئلة علينا أن ندخل بعض المصطلحات

التقنية المستعملة في الحياة اليومية، نقصد بها بالأخص «الدقّة والهدف» 31«Probes and goals»، وبالأخص «الأشكال» 32«Phase»، بعض هذه الابتكارات هي اصطلاحية أما الأخرى فهي أكثر استعمالا ومتداولة.

خلاصة

إن التوجه الجديد الذي أحدثه تشومسكي يشوبه الغموض والضبابية رغم الجهود المبذولة لتبسيطه ومرد ذلك الغموض إلى الصبغة الفلسفية من جهة، والنزعة المعرفية الدقيقة من جهة أخرى التي طغت على تفسيراته للظاهرة اللغوية فاللغة من حيث منهج النظر تفترض وجود كليات أساسية تمثل خصوصيات الكائن البشري المشتركة ، والبحث عن التراكيب الأساسية للغة البشرية ، يعتبر العنصر الحاسم للنظرية اللسانية عند تشومسكي انطلاقا من كونها استثنائية في العالم البيولوجي وهي خاصية لا متناهية لهذه الوسيلة التواصلية بين مكونات المجتمع البشري المعبرة عن أفكارنا الأكثر سرية بواسطة عدد محدود من الفونيمات . وهذا هو السرّ الخفي للّسان الّذي تسجّله تلك الحروف في جميع لغات العالم.

المصادر

1 نظرية شومسكي اللغوية، تأليف جون ليونز، ترجمة وتعليق: د.حلمي خليل، ط1، 1985، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

2 اللسانيات التوليدية والتحويلية، عادل فاخوري، دار الجيل بيروت 1988

3 مدخل إلى علم اللغة، حجازي محمود فهمي،القاهرة دار قباء للطباعة النشر 1998

4 مباحث في علم اللغة الحديث، نور الهدى لوشن، الإسكندرية المكتبة الجامعية 2001

5 مجلة أفق الثقافة، تمهيد «تشومسكي» لكتاب «اللغة والعرفان لجون إيف بولوك»، ترجمة: صابر حباشة، أوت 2004، .www.ofouq com6- Ideas and Ideals, Chomsky, second edition, By Neil Smith, Cambridge university press, 1999-2004.

7- Jean Yves POLLOCK: Langage et Cognition, Introduction au programme minimaliste de la grammaire Générative, Préface de Noam Chomsky, presses universitaires de France, Coll. psychologie et Sciences de la pensée, Collection dirigée par Olivier Houdé, 1ère édition, 1987, et 2ème édition, 1998.

الهوامش

1 -Ideas and ideals ;Chomsky;2nd edition ;Cambridge university press,1999,2004 p83

2 -مجلة أفق الثقافة، كتاب اللغة والعرفان «Jean-yves Pollock»، ترجمة: صابر حباشة أوت 2004.

2 -14 Ideas and deals ;Chomsky;2nd edition ;Cambridge university press,1999,2004 p86, 88, 89.

8- In Minimalism, p.83

9 -سيّدات أفينيو «Les demoiselles d'Avignon»: هي لوحة مشهورة لبيكاسو ورسمها في فرنسا عام 1907-1908، بالطريقة التكعيبية، وهي موجودة في متحف الفن العالمي بنيويورك.

10 -هي حادثة تاريخية وقعت في إسبانيا «بيسكاي» أين هدّم الألمان هذه المدينة إبّان الحرب 1937، وكان تحت حكم «إيزابيلا» و«فاردينو». وقد أثرت هذه الحادثة على «بيكاسو» فقام برسم لوحة مشهورة عالميا جسّد فيها هذه الحادثة سنة 1937 وهي موجودة في نفس المتحف المذكور سابقا.

11 - 23 In Minimalism p.84

21- PF .phonetic form

22- LF logical form

15----26- in Mini malism p.84 85

18- in Minimalism p85

19-and 29 in economy p.86

21-Example n 78 p.87

22-Example n 79 p.87

23-Example n 80 p .87

24-Example n 81 p.88

25- Example n 82 p.88

26-Computational system for Human Languge

27-and 37In Elements of Minimalism p.88

29 ------ 41 In Elements of Minimalism p.88 , 89